البرامج التأهيلية للحاج فقهيا وسلوكيا ودورها في تحقيق الحج الآمن وفق رؤية اللمملكة ٢٠٣٠ للحج

أم كلثوم حكوم داود بن يحي
كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد

ملخص البحث:

مما لا يختلف فيه اثنان أن مواسم الحج والعمرة مواسم تتمازج فيها المظاهر الحسنة المبشرة بالخير بالمظاهر التي تخالف المقصد الشرعي للحج جوهرًا ومضمونًا، وتبعث على الحزن والاستياء وتكرر في كل موسم وربما تزداد توسعًا وظلامة كل مرة، ويمكن أن نقف على أمثلة واضحة عن كل نوع من المظهرين السابقين، ويبرز لنا الدور التدريبي الذي تبذله الجهات المسئولة عن الحجاج في بلدانهم إيجابًا وسلبًا وانعكاساته على الحجاج في تحقيق الحج الآمن المبرور الذي ينشده الحاج.

وإذا كانت المملكة العربية السعودية أولت سقاية الحاج والعمار لبيت الله الحرام من الرعاية والأولوية ما جعلها مضرب المثل في الكرم وحسن الضيافة، فإنه يتوجب على كل جهة مشاركة في هذا الحدث العظيم أن تتحمل مسئوليتها كاملة وأن تضع اليد في اليد من أجل تثمين جهود المملكة وتحقيق النتائج المرجوة منها على أكمل وجه، من خلال تأهيل الحجاج وتدريبهم على المناسك فقهيا، ثم نشر الوعي السلوكي بينهم في كيفية التعامل مع الحجيج على اختلاف طبائعهم وعاداتهم مع الأخذ بعين الاعتبار تهيئة الحاج على الظروف المصاحبة للحج من كثرة للحجيج والتزام بوقت واحد لأداء الشعائر وما يصاحب ذلك من صعوبات ومشاق قد يؤدي في بعض الأحيان إلى ما لا يحمد عقباه من تدافع قد يسبب الموت، ومن هنا يبرز الدور المنوط بها، فهي قبل أن تكون وسائل نقل للحجيج مراكز توجيه وتدريب لهم تسعى جاهدة للأخذ بيدهم من أجل تحقيق الحج المبرور الذي بذل الحاج ماله وجهده لعله ينال شرفه.

الكلمات المفتاحية: الحج، رؤية المملكة للحج ٢٠٣٠، البرامج التأهيلية، الفتاوى.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وصفوته من خلقه، وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيله واهتدى بهديه إلى يوم الدين... أما بعد:

فتشهد المملكة العربية السعودية وعلى مدى قرون عديدة أكبر مؤتمر سنوي وأعظم حدث ديني للمسلمين حيث يدخل أراضيها الحجيج أفواجًا، يحجون يتعارفون يتآلفون ثم يشهدوا منافع لهم، ويصاحب هذا الحدث العظيم حدث آخر شرف به الله -تعالى -هذه الأرض المقدسة إنه سقاية الحجيج وخدمتهم.

وقد أولت المملكة العربية السعودية هذين الحدثين كل الرعاية والاهتمام وبذلت لهما كل الجهد، وسعت جاهدة إلى الحفاظ على الأمن والأمان ووقفت على طرق حفظ النعمة عند سقاية الحاج، مدعمة مشاريع الإطعام الخيري ومنظمة لها من خلال لجنة السقاية والرفادة التابعة لأمارة منطقة مكة المكرمة؛ ومقننة لآليات عملها، لتحقق رؤية متكاملة في مجال الحج والعمرة، يتم من خلالها تقديم خدمات ذات جودة عالية للحجاج وفق رؤية المملكة لذلك جاءت رؤية المملكة ٢٠٣٠ لتقدم استراتيجية متكاملة لتطوير منظومة الحج والعمرة، وإتاحة الفرصة لعدد أكبر من المسلمين في تأدية مناسك الحج والعمرة، في وقت يتعاظم لدى المسلمين أهمية الحفاظ على هويتهم الإسلامية واستكمال متطلبات شعائرهم الدينية، وتراعي كون الحج يصادف أشهر الصيف في السنوات القادمة، وهي بذلك أدت الأمانة

وحفظت العهد؛ فكان لزامًا على كل جهة مشاركة في هذا الحدث العظيم أن تتحمل مسئوليتها كاملة وأن تضع اليد في اليد من أجل تثمين جهود المملكة وتحقيق النتائج المرجوة منها على أكمل وجه.

المبحث الأول: قراءة في البرامج التأهيلية للحجاج في دول العالم:

تلعب بعثات الحج دورًا مهمًّا في تسير شئون الحجاج كل حسب بلده، وتضطلع بدور مهم في تهيئة الحاج وتدريبه على شعائر الحج وعلى الظروف المصاحبة لها من كثرة للحجيج والتزام بوقت واحد لأداء الشعائر وما يصاحب ذلك من صعوبات ومشاق قد يؤدي في بعض الأحيان إلى ما لا يحمد عقباه من تدافع قد يسبب الموت، ومن هنا يبرز الدور المنوط بها، فهي قبل أن تكون وسائل نقل للحجيج مراكز توجيه وتدريب لهم تسعى جاهدة للأخذ بيدهم من أجل تحقيق الحج المبرور الذي بذل الحاج ماله وجهده لعله ينال شرفه، من خلال غرس قيم التقوى والصبر والتحمل والبر في الحجاج وتهيئتهم سلوكيا وفقهيا من أجل تحقيق المقصد الشرعي للحج ونيل الثواب والمغفرة من الله تعالى بإذنه تعالى.

إن هذا التوجيه والتدريب يجب أن يبدأ أشهرا قبل موسم الحج كما يجب أن يستمر إلى آخر لحظة من لحظاته، لحظة وصول الحاج إلى بلده سالما غانما معافا مغفورا له بإذن الله تعالى؛ في مظهر حضاري فريد من نوعه حيث على الكل تحمل المسئولية كاملة واستشعار عظم الأمانة الملقاة على عاتق الجميع من حاج ومتعهد ووكالات ومطوفين ودعاة ووزارات الحج كل حسب بلده متممين وممتنين للجهود الجبارة والأموال الضخمة التي تبذلها المملكة العربية السعودية سنويا لإنجاح الحج وتحقيق الأمن والأمان فيه.

ومما لا يختلف فيه اثنان أن مواسم الحج والعمرة مواسم تتمازج فيها المظاهر الحسنة المبشرة بالخير بالمظاهر التي تخالف المقصد الشرعي للحج جوهرًا ومضمونًا، مظاهر تبعث على الحزن والاستياء وتكرر في كل موسم وربما تزداد توسعًا وظلامة كل مرة، ويمكن أن نقف على أمثلة واضحة عن كل نوع من المظهرين السابقين، تبرز الدور التدريبي التي تبذله الجهات المسئولة إيجابًا وسلبًا وانعكاساته على الحجاج وتحقيق الحج الآمن:

المطلب الأول: نماذج مشرقة:

عندما نتحدث عن حجاج دول شرق أسيا فإن أول دولة تتبادر إلى ذهننا هي دولة ماليزيا، وليس ذلك وليد الصدفة بل إنه معاينات واقعية في موسم الحج حيث يلفت حجاج ماليزيا الأنظار لما يميزهم عن غيرهم من حسن السمت والتنظيم والسكينة وأداء متقن لمناسك الحج وتحقيق لمعان البر التي هي جوهره، وما هذا إلا ثمرة طيبة من ثمرات الاهتمام والبرامج التدريبية المكثفة التي يتلقاها الحاج الماليزي، ومن ذلك:

١- تأسيس صندوق استثماري تحت مسمى صندوق طابون حاجي سنة ١٩٦٣م(Tabung Haji) ، وفكرة الصندوق قائمة على أن الأسرة الماليزية منذ ولادة المولود تفتح حساب ادخار له في هذه المؤسسة غير الربوية بمبلغ زهيد وتحافظ على استقطاع أقساطه الشهرية لا تتجاوز دولارين أو ثلاثة شهرياً وبذلك يؤمن له كلفة نفقات الحج بطريقة تدريجية ويتم توظيف استثمار الأموال المدخرة لصالح المدخرين وتقسم الأرباح بين المساهمين على أساس المشاركة.

إن هذا التفكير في تحقيق الحج المبرور للحاج منذ ولادته لدلالة واضحة وقيمة إنسانية عظيمة حيث التكفل بكل مصاريف الحاج من إسكان وما يحققه من استقرار للحاج يبعده عن ظاهرة الافتراش، وإطعام يبعده عن ظاهرة التسابق على الإطعام الخيري، وكذا الطبخ في الفنادق والمشاعر وخطورة ذلك ليس عليه فقط بل على الجميع من فنادق وهيئات أمنية لما يحدثه من حوادث وإرباك، ثم النقل وما يوفره من أمان للحاج وعدم ضياع بين المشاعر المقدسة.

إن توفير هذه المتطلبات الضرورية للحاج كفيلة بتجنيبه التفكير بنفسه في توفيرها، ومدى تأثير ذلك على الحج الآمن بسبب اختلاف قدرات الحجاج والمستوى المادي والتعليمي والثقافي لهم.

٢- البرامج الإرشادية التدريبية المتطورة والتي تسبق الحج بأشهر عديدة حيث تقوم بتدريب الحاج على المناسك في صورة محاكية للمشاعر المقدسة، ثم إرشاده وتوعيته بما يجب عليه أخذه من مستلزمات وأدوية إلى البقاع المقدسة ومكان الإقامة وكيفية الوصول إليه من وإلى الحرم.

٣- تتميز عملية القرعة بين الحجاج في ماليزيا بالسرعة والدقة حيث تتم مباشرة بعد انتهاء الحج ما يترك فرصة كاملة للهيئات المسئولة لتدريب الحجاج الجدد وتوعيتهم قبل انطلاق الموسم، بينما نجد بلدانا أخرى تؤخر القرعة إلى فترات قريبة جدًّا من الموسم يستحيل معها تأهيل الحاج وهذا خطأ فادح يجب التنبيه عليه والوقوف عنده.

ويذكر أن أربع دول استنسخت التجربة الماليزية المميزة في أداء مناسك شعائر الحج خلال الأعوام السابقة، وهي إندونيسيا والسودان والهند وإيران في أداء الحج.[١]

المطلب الثاني: نماذج تحتاج وقفة جدية:

على عكس ما سبق ذكره من المظاهر الجديرة بالاقتداء الباعثة على الشكر والثناء نجد مظاهر تبعث على الاستياء وتبرز حجم التفريط في تحمل المسئولية من قبل الجهات المسئولة عن الحج في بعض البلدان الإسلامية قبل موسم الحج عن طريق تدريب الحجاج، وإثنائه من خلال عدم تتبع الحاج وحاجاته، وبعده من خلال عدم تحمل مسئولية إرجاعه إلى وطنه، ومن أمثلة ذلك:

١- قبل موسم الحج:

إن عدم تدريب الحجاج فقهيا وسلوكيا قبل موسم الحج يؤدي إلى انتشار من بعض المظاهر التي تؤثر على سلامة الحاج، وفي كثير من الأحيان يصعب تدارك الأمر من خلال التوعية أثناء الحج، لانشغال الحجاج وضيق الوقت نذكر منها مثلا:

- انتشار الظواهر الغير حضارية التي تبعث على اللوم التثريب في موسم الحج وفي كل المشاعر المقدسة كالافتراش الذي كان عاملا مؤثرا في الازدحام والتدافع بسبب اقتطاع حَيِّز كبير من مساحة ساحات الحَرَم، وطُرقاته، وممراته، وكذلك ظاهرتي التسول والنشل.
- سوء تعامل بعض الحجاج مع الإطعام الخيري حيث يأخذ الحاج أكثر من كفايته، ومع قدوم موسم الحج في الصيف فإن هذه الأطعمة يتسرع إليها الفساد فيضطر الحاج إلى رميها، أو تسبب له تسممًا يعيق حجه، إضافة إلى طبيعة التنقل بين المشاعر حيث يجد الحاج نفسه مجبرا على التخلص من الأطعمة رغبة منه في الإسراع.
- عدم تأهيل الحاج وتوضيح المسائل الفقهية له قبل قدومه الحج يوقعه في كثير من المخالفات الشرعية التي لا تؤثر على حجه فقط بل تؤثر على أداء الجهات الأمنية حيث تضيف إلى مهامها اللامتناهية في موسم الحج مهاما كان من الممكن تجاوزها إذا تم تأهيل الحجاج قبل وصولهم المشاعر المقدسة، ونذكر -على سبيل المثال- ترك بعض الحجاج لحملات والبحث عن أماكن ثانية للإقامة كحال الحجاج الشيشانيين الذين يرون الإقامة في واد محسر أحد مقومات الحج المبرور، وهذا الوادي الذي يقصدونه المعروف تاريخيًّا يقع بين مزدلفة ومنى وقد أنزل الله فيه بأسه بأصحاب الفيل عندما أتوا لهدم الكعبة، وفي حجة الوداع أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسرع بالخروج منه وأخبر أصحابه بأن أصحاب الفيل أهلكوا في هذا الوادي، حيث أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، وأمر أصحابه بالإسراع بالخروج منه لأنه مكان عذاب.[٢]

٢- في موسم الحج:

أ- غياب التنسيق والالتزام من بعثات الحج تجاه الحجاج المسئولة عنهم عن طريق توفير احتياجاتهم الضرورية خلال الحج والتي يمكن حصرها في أهم المتطلبات التالية:

---

[١] ماليزيا تتصدر ٧٨ دولة في تنظيم شؤون الحجاج، صحيفة مكة المكرمة، الثلاثاء ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٦ - ١٧ مارس ٢٠١٥م.

(٢) حجاج يرفضون المخيمات ويلوذون بـ(جبل العذاب)، الاثنين / ٩ / ١٢ / ١٤٣١ هـ، الاثنين ١٥ نوفمبر ٢٠١٠ .

- الاجتهاد في توفير الأكل الذي تعودوا عليه في بلدانهم حتى لا يضطروا إلى الطبخ في الفنادق ولا يخفى خطر ذلك على الجميع، أو البحث عنه خارجًا بين الأزقة الجانبية، وهذا عامل مشجع على ظهور المطابخ العشوائية في الشوارع الخلفية الموجودة خلف المساكن الحجاج، فمثلًا رصدت عدسة صحيفة المدينة في شارع الستين أحد أشهر الأحياء الكبيرة والراقية بمكة المكرمة وشارع المنصور وحي العزيزية وحي الششه، وجود حجاج ومتخلفين من نفس جنسيات هؤلاء الحجاج يقومون بالطهي وإعداد المأكولات والمشروبات، التي تشتهر بها بلدانهم ضاربين بالاشتراطات الصحية والبيئية عرض الحائط، إضافة إلى عرض منتجات وبضائع مجهولة المصدر.[١]
- توفير النقل بين المشاعر المقدسة والالتزام الأخلاقي والمهني نحو جميع الحجاج المسئولين عنهم مهما كانت الصعوبة في ضبطهم واحتواءهم فمن المظاهر المخيفة في المشاعر محاولة بعض الحجاج المسنين ممن لم يتوفر لهم النقل السقوط أمام الحافلات لإجبارها على التوقف والصياح، ما أدى إلى إرباك الأمن السعودي المنشغل بتأمين الحجاج والذي اضطر رغم انشغاله إلى طلب بعض الحافلات لنقل المسنين والضعفاء، فيما لجأ الأصحاء من الحجاج إلى المشي على الأقدام لمسافات كبيرة.

٣- في نهاية موسم الحج:

من أصعب المشاكل التي تواجهها المملكة بعد انتهاء موسم الحج هو تخلف نسب كبيرة من الحجاج عن العودة إلى أوطانهم رغم أداء المناسك، ويصاحب ذلك سلوكيات غريبة وفوضى يتسبب بها عدد هؤلاء الحجاج في الشوارع خاصة الشعبية، ووصل الحال ببعض الحجاج للطبخ في الشارع والافتراش وبيع الملابس المستعملة والأدوية الشعبية الخاصة بهم.[٢]

المبحث الثاني: برامج تأهيل الحاج فقهيا:

الحج عبادة بدنية قد يصاحبها مشقة في تحقيق أركانها مع كثرة الحجيج واختلاف طبائعهم والتزامهم بوقت واحد للعبادة؛ لذلك كان لزامًا على الحاج التحلي بالصبر والدفع بالحسنى وبذل بعض التنازل في سبيل ضمان سير الأمور دون أن يستشعر الدنية في صبره وتنازله.

وقد سميت مكة بكة في دلالة على كونها مكانًا مزدحمًا منذ القدم ذلك أنها كانت مقصدًا للعبادة قبل الإسلام وبعده، إلا أن التطور الذي شهده العالم من سرعة وسهولة في المواصلات وقدرة مادية للأفراد وزيادة مباركة في عدد المسلمين في كل أنحاء المعمورة ورغبتهم في أداء المناسك والزيارة ،وربما تكرارها المرة بعد الأخرى رغبة في الثواب وشوقًا إلى لبقاع المقدسة جعل الأمر في كثير من الأحيان يخرج عن السيطرة، حيث صارت شدة الزحام سببًا رئيسًا لزوال المقصود الأعظم من الحج من الخشوع والخضوع وذكر الله -تعالى -حيث أصبح هم أكثر الحجاج والعمار التخلص من شدة الزحام والنجاة بأنفسهم من مضاره.[٣]

وقد كان لهذه الظاهرة نصيبها من البحث والعناية عند علماء الأمة وفقهائها كما كانت محط بحث الكثير من المؤتمرات والندوات والمجامع الفقهية داخل المملكة وخارجها، ولعل أهم المسائل التي تم تناولها للتيسير على الحجاج وعمار الحرمين:

المطلب الأول: حرمة المشاعر المقدسة:

إن ثرى المسجد الحرام الذي جعله الله مَثَابةً للناس وأَمْنًا هو الأولى والأحق أن تبسط فيه مكارم الأخلاق، وألا يُتصف فيه إلا بالمُثُل العليا، والسجايا الكريمة، والشمائل النبيلة،[٤] فلما فتح الله مكة على نبيه – صلى الله عليه وسلم - خطب الناس وقال: (إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص لقتال رسول الله -

---

[١] حجاج ومخالفون يحولون شوارع مكة الخلفية لمطابخ عشوائية وساحات للبيع، صحيفة المدينة، ٢٠١٣ / ١٠ / ٠٧..

[٢] موسم الاختباء في شوارع «ودهاليز» مكة المكرمة بعد الحج، جريدة اليوم، السبت الموافق ٢٧ نوفمبر ٢٠١٠ العدد ١٣٦٧٩.

[٣] المصلح، خالد بن عبد الله، الزحام وأثره في النسك، ص:٢٠ www. almosleh. com

[٤] السديس، عبد الرحمن بن عبد العزيز، الازدحام في المسجد الحرام، الأسباب والحلول، دراسة شرعية، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، السنة السادسة عشر، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، رابطة العالم الإسلامي، ص، ص:٢٣-١٤٤.

صلى الله عليه وسلم- فيها فقولوا إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب).[١]

إن هذا الفضل العظيم للبيت الحرام والحرمة لأراضيه توجب على الجميع أن يوحدوا صفوفهم ويكثفوا جهودهم من توعية الحجاج والعمار بشأن ذلك ووجوب مراعاة قدسية هذه القاع الطاهرة، والتحلي بمكارم الأخلاق في عرصاتها الشريفة.

يجب على الحاج أن يعي أن هذه البقاع ليست كغيرها وما يغتفر في غيرها من اللمم لا يغتفر فيها بل إن الهم بالمعصية في الحرم يحاسب عليه لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، (الحج:٢٥)، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما – أنه قال: "لا والله، وبلى والله من الإلحاد في الحرم"[٢]، وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه – أنه قال: "لئن أخطئ سبعين خطيئة – يعني بغير مكة- أحب إليَّ مِن أن أخطئ خطيئة واحدة بمكة[٣] ".

المطلب الثاني: حرمة أذية المسلم :

لقد كانت حجة الوداع للرسول -صلى الله عليه وسلم- التي حازت شرف الزمان والمكان والصاحب المنصة المقدسة التي أعلن منها الرسول -صلى الله عليه وسلم -مواثيق ودساتير تنظم حياة المسلم تنظيما يحميه من العبث ويحقق المعنى الحرفي للخلافة على الأرض، وتبين ما عليه من واجبات وما له من حقوق.

ومن أعظم هذه الحقوق التي بينتها خطبة الوداع حرمة أذية المسلم والتعرض له بالسوء قال – صلى الله عليه وسلم – : (لا تَحاسَدُوا ولا تناجشُوا ولا تباغَضوا، ولا يبِعْ بعضُكُمْ على بيعِ بعْض، وكُونوا عبادَ الله إخوانَا، المسلمُ أخو المسْلم لا يظلمُهُ ولا يحقِرْه ولا يَخْذُله، التقوى هَا هُنا، وأشارَ بيدِه إلى صدرِهِ ثلاثا، بِحسْبِ امرئٍ منَ الشرِّ أنْ يحقرَ أخاهُ المسلِم .. كلُّ المسلِمِ على المسلِمِ حرَام دمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ).[٤]

ولما كانت حرمة المسلم من أعظم الحرمات التي أقرها الشارع الحكيم فإن التعدي عليها يعتبر من أعظم الذنوب والآثام، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾، (الأحزاب: ٥٨).

إن حرص الإسلام على غرس قيم الحب والاحترام والحرص على عدم إلحاق الأذى بالمسلم تجلى في أبسط المظاهر، فقد أخرج مالك في موطئه عن البياضي أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال: (إن المصلي يناجي ربه فلينظر بما يناجيه به ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن)،[٥] فإذا كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يرى في الجهر بالقراءة أذى يجب على المسلم تجنبه وهو يناجي ربه، فكيف الحال بغير ذلك من الحالات التي تتعلق بالعبادة وبالعادة.

وقد حذر السلف الصالح من كثير من التصرفات التي تصحب الحج ويكون فيها أذى للحجاج، مقتدين بذلك بالحبيب المصطفى، فقد أخرج البيهقي في سننه عن شيخ من خزاعة قال:" إن عمر -رضي الله عنه- كان رجلًا شديدًا وكان يزاحم عند الركن فقال له رسول الله -

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ليبلغ الشاهد الغائب، برقم(١٠٤).

[٢] الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، دار المعارف:(٦٠٣/١٨).

[٣] ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة: (٣١١/٢).

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، برقم: ٤٦٥٠، ينظر: مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، دار إحياء العلوم العربية:(٧٤/١).

[٥] أخرجه مالك في موطئه، كتاب الصلاة، باب العمل في القراءة، برقم: ١٧٨، ينظر: مالك، الموطأ، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، دار إحياء العلوم العربية:(٧٤/١).

صلى الله عليه وسلم: (يا عمر لا تزاحم عند الركن فإنك تؤذي الضعيف فإن رأيت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله وكبر وامض)، [1]وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "إذا وجدت على الركن زحاما فلا تُؤذِ ولا تُؤْذَ وامض".[2]

المطلب الثالث: فتاوى التيسيرلدفع التدافع (الطواف، رمي الجمرات):

إن الشريعة الإسلامية الغراء شريعة سمحة تضمنت في أحكامها اليسر ونفي الحرج عن المكلف في حله وترحاله، في عباداته وفي عاداته، والحج باعتباره ركن الإسلام الأعظم تضمن من التخفيف واليسر مالم تتضمنه غيره من الأحكام في سورة الحج التي تضمنت ذكر شيء من أحكامه، فقال تعالى:﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، (الحج:٧٨).

والذي يظهر أن مناسبة ذكر نفي الحرج في سورة الحج أن الحج في أعماله من المشقة ما تميز به عن غيره من أركان الإسلام، فناسب أن يذَّكر بهذا الأصل؛ ليعلم أن المقصود بهذه العبادة الجليلة تعظيم الله تعالى، وتعظيم ما عظمه الله من البقاع والأزمنة، لا مجرد حصول المشقة، بل إنه إذا ترتب على الحج مشقة خارجة عن المعتاد فإن الشريعة المباركة قد رتبت من الأحكام ما يرفع الحرج وتلك المشقة.[3]

ومن الأحكام التي تناولها الفقهاء بعناية لبيان أحكامها في حالة المشقة والزحام مايلي:

١- الطواف في السطح والسعي فوق سطح المسعى:

من باب التيسير عن الحجاج ورفع الجرح ودفع أذى التدافع عنهم أصدرت هيئة كبار العلماء فتاوى تجوز المسائل التالية:

أ- الطواف حول الكعبة في أورقة المسجد الحرام وفي سطوحه.[4]

ب- السعي عند الحاجة فوق سقف المسعى.[5]

ولابد هنا من مراعاة أمرين مهمين نص عليهما الفقهاء:

الأول: إذا لم يكن ثم حاجة بأن كان السعي في وقت لا ازدحام فيه فإن الاحتياط لكمال العبادة يقضي بعدم ذلك خروجًا من خلاف من منعه، ولانتفاء العذر المبرر للجواز.

الثاني: مراعاة الفضيلة المتعلقة بذات العبادة أولى من مراعاة الفضيلة المتعلقة بمكانها أو زمانها، ومثال ذلك عند الفقهاء:

- أن الطواف في مكان بعيد عن الكعبة مع الخشوع أولى من الطواف قريبًا منها عند شدة الزحام.
- الرَّمل في طواف القدوم أولى من الدنو من البيت، ولهذا قال العلماء: الرمل في طواف القدوم أولى من الدنو من البيت؛ لأن الرمل يتعلق بذات العبادة، والدنو من البيت يتعلق بمكانها».[6]

٢- استلام الحجر الأسود:

---

[1] أخرجه البيهقي في سننه، كتاب الحج، جماع أبواب دخول مكة، باب الاستلام في الزحام، برقم:(٩٠٤٣)، ينظر: البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، دار المعرفة.

[2] الفكهاني، أبي عبد الله محمد بن اسحاق، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحـ: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط(٢)، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م: (١/ ١٠٣).

[3] المصلح، خالد بن عبد الله، الزحام وأثره في النسك، ص:٨٠.

(٤) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء،

(٥) أحكام السعي، أبحاث هيئة كبار العلماء، مجلد١ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: (٤٠/١).

(٦) ينظر: النووي، يحي بن شرف، المجموع شرح المهذب، دار الفكر:(٥٣/٨)، ابن العثيمين، محمد بن صالح، مجموع فتاوي ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، طبعة ١٤١٣هـ، دار الوطن-دار الثريا:(٢٤/١٣).

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما نصه: "تقبيل الحجر الأسود في الطواف سنة مؤكدة من سنن الطواف, إن تيسر فعلها بدون مزاحمة أو إيذاء لأحد فعلت اقتداء برسول الله -صلى الله عليه وسلم -في ذلك, وإن لم يتيسر إلا بمزاحمة وإيذاء تعين الترك والاكتفاء بالإشارة باليد، لا سيما المرأة لأنها عورة، ولأن المزاحمة في حق الرجال لا تشرع، ففي حق النساء أولى".[١]

٣- صلاة ركعتي الطواف:

أجمع أهل العلم على أن الأفضل في هاتين الركعتين أن تكونا عند المقام، وتصحان حيث صلاهما الطائف، فإن كان تحري الصلاة عند المقام يفضي إلى زحمة أو إلى التضيق على الطائفين، فعندئذ لا ينبغي له أن يصلي عنده بل يصلي حيث يتيسر له،[٢] بينما يعتقد الكثير من الحجاج والمعتمرين أنه يجب عليهم الصلاة بعد الطواف قريبا من المقام فيزدحمون من أجل ذلك ويؤذون الطائفين في أيام المواسم.

كما لا يُستحب للنساء الصلاة خلف المقام، أو في غيره من المسجد، مزاحمة للرجال، وهذا مما لا يكاد يختلف فيه؛ لما يتوقع بسببه من الضر".

٤- المرور بين يدي المصلي:

سئل العلامة ابن باز - رحمه الله - عن حكم المرور بين يدي المصلي في الحرم فقال: "لا حَرَجَ في ذلك، وليس لمن في الحرم - أعني المسجد الحرام - أن يمنع المارّ بين يديه: لما ورد في ذلك من الآثار الواردة على أن السلف الصالح كانوا لا يمنعون المارين بين أيديهم من الطائفينَ وغيرهم، منهم ابن الزبير - رضي الله عنه؛ ولأن المسجد الحرام مظنّة الزحام والعجز عن مَنْع المارّ بين يدي المُصلي، فوجب التيسير في ذلك.[٣]

المبحث الثالث: برامج تأهيل الحاج سلوكيًّا:

المطلب الأول: تأهيل الحاج للتعامل مع الأزمات (تدافع،مرض، حوادث):

تبذل حكومة المملكة العربية السعودية الكثير من الجهد لخدمة ضيوف الرحمن والسهر على سلامة أرواحهم وممتلكاتهم جاعلة هذا الهدف من أهدافها الأساسية موكلة ذلك إلى الوزارات ذات العلاقة ،ويأتي الدفاع والمدني من خلال مهامه وأهدافه كأحد أجهزة وزارة الداخلية مسخراً الكثير من إمكانياته البشرية وآلياته الفنية لتحقيق السلامة لحجاج بيت الله من أخطار الحريق والحوادث المختلفة ومساهمًا مع المؤسسات الطوافة من خلال الإشراف والمراقبة على مخيمات الحجاج وتوفر وسائل السلامة المناسبة داخل المخيمات ومتابعته لها خلال موسم الحج، وتعتبر حوادث الحريق والدهس وضربات الشمس والازدحام وافتراش الطرق والجسور ورمي المخلفات في الأماكن الغير مخصصة لها والطبخ باستخدام الغز والتدخين وتسلق الجبال من أهم ما يقع فيه الحاج من المخالفات أثناء تواجده بالمشاعر.[٤]

وحسب موقع مديرية الدفاع المدني فإن أهم الإرشادات التي يجب على الحاج إتباعها أثناء تواجده في المشاعر المقدسة، وقد حددتها في ١٠ نقاط مهمة:

١- تذكر أن موسم الحج يعتبر أكبر تجمع بشري في العالم به حشود مسلمه من دول وجنسيات ولغات مختلفة يجمعها هدف واحد.

٢- تجنب الزحام أثناء الطواف والسعي ورمي الجمرات.

٣- استعجالك في أداء بعض الشعائر في الحج قد يسبب لك أو لغيرك الإجهاد.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، المجلد الحادي عشر، دار العاصمة للنشر والتوزيع ٢٢٩.

[٢] المصلح، خالد بن عبد الله، الزحام وأثره في النسك، ص:٢٤.

[٣] موقع الإمام بن باز:https://www.binbaz.org.sa/fatawa/٤٤٦٢

[٤] التوعية في الحج، موقع المديرية العامة للدفاع المدني، وزارة الداخلية، المملكة العربية السعودية:
http://www.998.gov.sa/Ar/Safety/HajjSafetyInstruction/Pages/HajjEnlightement.aspx

٤- من الأفضل استخدام الطرق المخصصة للمشاة عند رغبتك في المشي.

٥- من أجل سلامتك أتبع تعليمات رجال الأمن خلال تنقلك بين المشاعر فهم يرشدوك لأقرب الطرق لك.

٦- أخي الحاج عند تجنبك الجلوس أو النوم في مداخل أنفاق المشاة ومخارجها تضمن سلامتك كونها وضعت للعبور.

٧- احذر خطر الاختناق عند سيرك في أنفاق السيارات.

٨- لسلامتك تصرف بسرعة لحماية نفسك واحتفظ بالهدوء والسكينة.

٩- الدين الإسلامي يحثنا على التعاون فلا تنسى إخوانك كبار السن والأطفال فهم في حاجة إلى مساعدتك.

١٠- لا تتأثر ببعض السلوكيات الفردية الغير واعيه وانأ بنفسك عنها.

ويشمل موقع المديرية أيضا على أهم الإرشادات التي يجب على الحاج إتباعها في حالات معينة تناولتها المديرية بالتفصيل لتسهيل عملية أداء المناسك على الحاج وضمان سلامته وقدرته على أداء حج مبرور خال من المخالفات الشرعية والقانونية والسلوكية، وذلك عند:

أولًا: إرشادات للحاج أثناء وجوده خارج المخيم.

ثانيًا: إرشادات للحاج أثناء وجوده داخل المخيم.

ثالثًا: إرشادات للحاج عند الازدحام.

رابعًا: إرشادات للحاج عن أنفاق المشاة.

خامسًا: إرشادات للحاج عن أنفاق السيارات.

سادسًا: إرشادات للحاج عن الرياح والأعاصير.

سابعًا: إرشادات للحجاج عن الصدوع والشقوق والهبوط الأرضي.

ثامنًا: إرشادات للحجاج عن تساقط الصخور وتسلق الجبال.

تاسعًا: إرشادات للحجاج عن الأمطار والسيول.

عاشرًا: حظر استخدام الغاز في الطبخ بالمشاعر المقدسة.

فإذا كانت مديرية العامة للدفاع المدني قد وقفت على أهم السلوكيات الإيجابية التي على الحاج اكتسابها قبل قدومه إلى المشاعر، وبينت أهم الإرشادات التي يجب أن يكون الحاج واعيًا بها عند حدوث أزمات أو أمور اضطرارية، فإنها سهلت كثيرًا الأمر على بعثات الحج لكل دول العالم حيث حصرت أهم ما يجب على الحاج تعلمه قبل وأثناء وبعد قدومه المشاعر المقدسة، فما على البعثات بعد جهد مديرية الدفاع المدني المبارك إلا عقد دورات تدريبية للحاج ترفع من مستوى وعيه وأداءه الإيجابي عند التواجد في المشاعر.

المطلب الثاني: تأهيل الحاج للتعامل مع مشاريع الإطعام الخيري:

أولت المملكة العربية السعودية سقاية الحاج والعمار لبيت الله الحرام من الرعاية والأولوية ما جعلها مضرب المثل في الكرم وحسن الضيافة، لكن هذا الجانب المشرق من السقاية يقابله جانب مظلم لا تكاد تخطئه عين ناظر ولا يستسغه قلب محسن، سلوك أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه ينافي العقل يخالف الشرع، يبعث على الخيبة، يؤذي العين، يدمي القلب، إنه تعامل كثير من الحجاج مع طعام السقاية التي بذلت من أجله جهود جبارة، وصرفت لتوفيره ميزانيات ضخمة، فالمار بين صفوف الحجاج في كل مراحل الحج وعند كل مشعر من مشاعره لا يذهله فقط كمية الهدر الغذائي في موسم الحج بل يصدمه أن يرى الطعام على ألوانه صار مداسا للأقدام ليشكل بساطا ملونا بلون الأطعمة يمر فوقه الحاج دون أن يحرك ساكنا، فأرز هنا وتمر هناك ودجاج بينهما.

ويتوافد على المملكة السعودية الحجاج من كل بقاع المعمورة، تختلف مشاربهم الفكرية وتتباين مستوياتهم الاقتصادية، وقدرتهم المالية على شراء وجبات صحية متكاملة تساعدهم على أداء حج صحي، كما تختلف الحملات الواحدة عن الأخرى في التزامها بتقديم وجبات للحاج من عدمها، وهنا يتحمل القائمون على هذه حملات جزءا لا يستهان به فيما يتعلق بهدر الطعام، إذ لا يرون في أنفسهم شريكًا أساسيًا في عملية التوعية، فكما الحملة مسئولة أخلاقيًا أمام الحاج بتوفير مطوفين ومرجعيات دينية تسهل على الحاج أداء مناسك الحج وتجيب على أسئلته الفقهية، فإنها مسئولة بنفس الدرجة وربما أكثر عن توعيته حول قبح الهدر الغذائي وحرمته الشرعية التي لا

تتوافق أبدا مع الحج المبرور، إذ لا بد من استغلال الوازع الديني لدى الحاج ورغبته الشديدة في نيل القبول من المولى عز وجل في ثني الحاج عن السلوكيات الخاطئة في موسم الحج أيًّا كان نوعها وعلى رأسها أخذ الطعام دون الحاجة إليه، ورميه بعد الانتهاء منه في غير الأماكن المخصصة له.

ويضاف إلى ما سبق انخفاض الوعي الصحي والغذائي لدى الحاج وتأثيراته السلبية والخطيرة على الحاج وعلى المملكة لما تكلفها من التزامات طيبة ضخمة في غير محلها يمكن تجنبها بزيادة الوعي عند الحاج، وهو التزام على بعثات الحج يجب أن تعي أهمية وخطورة إغفاله على الحاج وعلى البعثة وعلى المملكة العربية السعودية.

المطلب الثالث: تأهيل الحاج للانخراط في عملية إنجاح الحج الآمن:

إن نجاح أي مشروع مرهون بمدى انخراط جميع فئاته المعنية في إنجاحه، والحج الآمن باعتباره مشروع أمة لابد لنجاحه من إشراك جميع عناصره، كما أن التوعية التي تؤتي أكلها تبدأ من موطن الحاج نفسه قبل وصوله إلى المشاعر المقدسة، لنحقق في نهاية موسم الحج حجًّا حضاريًّا يبرز الصورة المشرقة لديننا الحنيف الذي جاء لإكرام الإنسان ورفع الحرج ودفع الأذى ومنع الإضرار، إذ لا بد من تحويل الحاج من ضيف إلى شريك فعلي، بحيث يمكن تدريبه على الامتناع عن الرفث والفسوق، والإسراف، وافتراش الأرصفة، والاهتمام بالبيئة ضمن برامج غائية طويلة الأمد.

ونستطيع أن نحقق أكثر من ذلك بأن نجعل الحاج يتطوع لنشر الوعي بين بقية الحجاج ممن يفهمون لغته ويفهم عاداتهم وتقاليدهم يرشدهم إلى ما يحقق السكينة والبر في الحج ويجنبهم الوقوع في الرفث والفسوق والجدال، فيكسب الثواب المضاعف، ويعينهم على إتمام الركن الخامس من أركان الإسلام إتماما يرضى رب البيت تعالى.

إنها وسيلة ناجحة عديمة التكلفة سريعة النتائج، وتمكن الجهات الأمنية من الالتفات إلى المسائل الأكثر أهمية في موسم الحج، وتمكن السلطات السعودية من تخفيض نفقات تدارك أخطاء الحجاج وصرفها في أعمال تنموية أكثر خدمة للحاج.

المبحث الثالث: عرض كتيب "دليلك إلى الحج المبرور":

في حالة قبول البحث ستقوم الباحثة بجمع العمل في كتيب صغير يساعد الحاج على استحضار الفتاوى الضرورية له في الحج بالإضافة إلى توجيهات سلوكية تمكنه من أداء حج مبرور بإذن الله تعالى.

خاتمة:

ما أحوجنا اليوم أكثر من أي وقت مضى لأن يستفيد المسلمون من هذا الدرس السنوي العظيم حيث لا رفث ولا فسوق ولا جدال، فيعودون إلى ديارهم حجاجًا ميامين محملين بمبادئ الوحدة ومساهمين في تحقيق المساواة بينهم بعيدا عن الماديات والفتن والشهوات.... ما أحوجنا إلى الوسطية والاعتدال في حياتنا وفي حلنا وترحالنا .....ما أحوجنا لأن يحل البناء محل الهدم والعلم محل الظلم ....والتعايش محل التنافر....والتساند محل التعاند فنحن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس.